شرح
رسالة العبودية

المجلس الرابع

فضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس الرابع

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أرحم الراحمين، قال شيخ الإسلام رحمه الله في رسالة العبودية: [وَطَرِيق الْحَقِيقَة عِنْدهم هُوَ السلوك الَّذِي لَا يتَقَيَّد صَاحبه بِأَمْر الشَّارِع وَنَهْيه وَلَكِن بِمَا يرَاهُ ويذوقه ويجده فِي قلبه مَعَ مَا فِيهِ من غَفلَة عَن الله جلّ وَعلا وَنَحْو ذَلِك. وَهَؤُلَاء لَا يحتجون بِالْقدرِ مُطلقًا بل عمدتهم اتِّبَاع آرائهم وأهوائهم وجعلُهم مَا يرونه وَمَا يهوَونه حَقِيقَة ويأمرون باتباعها دون اتِّبَاع أَمر الله وَرَسُوله نَظِير بدع أهل الْكَلَام من الْجَهْمِية وَغَيرهم الَّذين يجْعَلُونَ مَا ابتدعوه من الْأَقْوَال الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون مَا دلّت علية السمعيات ثمَّ الْكتاب وَالسّنة إِمَّا أَن يحرفوا القَوْل فيهمَا عَن موَاضعه وَإِمَّا أَن يعرضُوا عَنهُ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يتدبرونه وَلَا يعقلونه بل يَقُولُونَ: نفوض مَعْنَاهُ إِلَى الله مَعَ اعْتِقَادهم نقيض مَدْلُوله وَإِذا حُقّق على هَؤُلَاءِ مَا يزعمونه من العقليات الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة وُجدت جهليات واعتقادات فَاسِدَة.

وَكَذَلِكَ أُولَئِكَ إِذا حقق عَلَيْهِم مَا يزعمونه من حقائق أَوْلِيَاء الله الْمُخَالفَة للْكتاب وَالسّنة وجدت من الْأَهْوَاء الَّتِي يتبعهَا أَعدَاء الله لَا أولياؤه. وأصل ضلال من ضل هُوَ بِتَقْدِيم قِيَاسه على النَّص الْمنزل من عِنْد الله وَتَقْدِيم اتِّبَاع الْهوى على اتِّبَاع أَمر الله فَإِن الذَّوْق والوجد].

الشيخ: الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحابته وسلم تسليما كثيرا، فالكلام في هذا أولا عن الصوفية

الذين يجعلون دينهم أذواقهم وما تهواه أنفسهم، بدون النظر إلى ما جاء به المصطفى ﷺ، والفريق الثاني المتكلمون الذين يجعلون الأصل في هذا عقولهم، ويسمون عقلاياتهم براهين، أما ما دل عليه الكتاب والسنة فيسمونها ظنون وشكوك وأمور يهونون منها كثيرا، ثم يتبعون ما يقررونه بأنفسهم، وهذا لا شك بأنهم مخالفون للحق وأنهم لا يريدون إتباع الحق، وإذا تبين أن هذا مرادهم وأن هذا نهجهم، تبين أنهم ليسوا لا من أهل العلم ولا من أهل الإتباع، وإذا كان الإنسان ليس من أهل العلم ولا من أهل الإتباع فلا يجوز الاقتداء به ولا النظر إلى ما يقوله، لأن الميزان عندنا هو ما جاء به الرسول ﷺ، فإن تركه وانحرف عنه، فهو إما يتبع هواه، أو أن له أيضا غرض معين أو في قلبه مرض، لا يخلو من هذين الأمرين، فهؤلاء لا يخرجون عن ذلك، ونقول: أن هذا هو أصل الضلال، والضلال معناه مجانبة الحق والعدول عنه والميل إلى طرق أخرى، وهذا كثير في الناس، والدواعي والدوافع له وإن اختلفت فالمنهج واحد في ذلك نعم.

قال: [فَإِن الذَّوْق والوجد وَنَحْو ذَلِك هُوَ بِحَسب مَا يُحِبهُ العَبْد ويهواه].

الشيخ: الذوق يعني الذي يتذوقه بهواه وطبعه، وليس الذوق الذي يذوقه بفمه، وهو يكون أعظم من الشهوات التي تأكل، وكذلك ما يميل إليه بحسب ما يقوده إليه الهوى، فلهذا كثر الانحراف في ذلك، وفضلوا طريق الأغاني والأذواق التي تستنتج من الأصوات ا لحسنة على سماع كتاب الله جل وعلا،

وكذلك ما دل عليه الكتاب والسنة من اجتناب الأهـواء وأصـوات الـشياطين التي قد تجتلب بها كثير من الناس، يعني يفضلونها عـلى مـا جـاء عـن الله جـل وعلا والرسول، وهذا لا يخفى على الإنسان الذي يثبر أحـوالهم وينظـر إلـيهم، فكيف مثل هؤلاء يصيرون أئمة، ويجعل لهم مـثلا كبـار في مجتمـع الإسـلامي، يجب ألا يكون لهؤلاء أي اعتبار، ولكن لا يتبين من هـو كثـير مـن النـاس، لأن الدعاوى ما هي مجرد دعوى، يدعون ثم يلبسون الحق بالباطـل، فيخفـى الحـق على كثير من الناس، وهذه صفة أصحاب الباطل، وقد ذكر الله جل وعـلا عـن اليهود أن هذا نهجهم، واللبس لبس الحق بالباطل، هذا طريق يعمي كثـير مـن الناس، إذ لو كان الحق واضح لمـا كـان فيـه إشـكال، ولـو كـان الباطـل أيـضا خالص ما فيه شيء من الحق لم يكن في ذلك إشكال، ولهـذا يحتـاج الإنـسان إلى فرقان يفرق به بين ما هو حق وما هو باطل، وهذا من أفضل مـا يؤتـاه العبـد، أن الله جل وعلا يؤتيه فرقان يفرق به بين ما هو حق وما هو باطل، وقد أمـر الله جل وعلا عباده بتقواه ووعدهم إذا اتقوا ربهـم جـل وعـلا أن يعطـيهم فرقانـا يفرقون به وهو العلم الصحيح النافع، الذي يؤخذ مـن كتـاب الله، ومـن سـنة رسوله ﷺ، فإذا جعل للإنسان فرقان يفرق به، فإنـه لا يـنطلي عليـه مثـل كـلام هؤلاء أنهم وصلوا إلى حقائق ما وصل إليها غيرنا، وقد مثلا مع دعواهم وهـو الغالب، يهونون من شأن الحـق ومـن أهلـه، بـل ربـما يعنـي رمـوهم بـالنقص

والعدول عن الحق وأنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، فهذا هي طريقتهم غالبا نعم.

قال: [فَأهل الْإِيمَان لَهُم من الذَّوْق والوجد مثل مَا بيّنه النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بقوله فِي الحَدِيث الصَّحِيح: « ثَلَاث من كن فِيهِ وجد حلاوة الْإِيمَان: من كَانَ الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا وَمن كَانَ يحب الْمَرْء لَا يُحِبهُ إِلَّا لله وَمن كَانَ يكره أَن يرجع فِي الْكفْر بعد إِذْ أنقذه الله مِنْهُ كَمَا يكره أَن يلقى فِي النَّار » وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « ذاق طعم الْإِيمَان من رَضِي بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دينا وَبِمُحَمَّدٍ نَبيا »].

الشيخ: هذان الحديثان يدلا على أن الإيمان له طعم حقيقة، يذوقه الإنسان، ولكن ليس كل أحد، من رضي بالله ربا وبالإسلام ربا، يعني كونه رضي بالله ربا، أنه لن ينحرف عن ربوبيته، بل يكتفي بأنه ربه، وكذلك الإسلام لا ينحرف عنه، بل هو يكون دينه الذي يترسمه ولا يتعداه، ويرتبط به ولا يريد بديلا له، والإسلام عام مطلق لكل شيء، الشيء الذي يكون خاص والشيء الذي يكون عام، يعني بين الذي يكون في نفسه، والذي يكون بينه وبين غيره من الناس، وكذلك الحديث الأول، إذا كان محبته لله ورسوله، وكان لا يحب من يحب إلا لأجل الله جل وعلا لأنه مطيع لله، وكان أيضا يرى أنه قد من الله عليه أكبر المنة، فلا يريد بديلا عما هو فيه، حتى ولو ألقي في النار، من كان بهذه الصفة فهو الذي يذوق طعم ا لإيمان نعم.

قال: [وَأما أهل الْكفْر والبدع والشهوات فَكل بِحَسبِهِ.

قيل لِسُفْيَان بن عُيَيْنَة: مَا بَال أهل الْأَهْوَاء لَهُم محبَّة شَدِيدَة لأهوائهم؟ فَقَالَ: أنسيت قَوْله تَعَالَى [٩٣ الْبَقَرَة] : ﴿وأشربوا فِى قُلُوبهم الْعجل بكفرهم﴾ أَو نَحْو هَذَا من الْكَلَام].

الشيخ: بكفرهم بسبب كفرهم، وإشراب حب العجل في القلب هذا مشكلة، مصيبة إذا أشرب الإنسان قلبه بحب الشيء من يخلصه؟ تخليصه صعب جدا، ما يخلصه إلا رب العالمين جل وعلا، وهكذا الباطل قد يشرب حبه في القلب، فيصبح ما يريد به بديلا، فهذا السبب في كونهم يحبون مذاهبهم ويحبون باطلهم، لأن الكفر من جزائه أن يكون له كفر آخر، يعني السيئة جزائها سيئة أخرى، ويكون السيئة تدعوا إلى السيئة، كما أن الحسنة تكون جزائها حسنة أخرى، والله أعلم جزاءا وفاقا نعم.

القارئ: [فعبّاد الْأَصْنَام يحبونَ آلِهَتهم كَمَا قَالَ تَعَالَى [١٦٥ الْبَقَرَة] : ﴿وَمن النَّاس من يتَّخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وَالَّذين آمَنُوا أَشد حبا لله﴾].

الشيخ: ولولا ذلك ما قاتلوا دون أندادهم ومعبوداتهم، وبذلوا أموالهم ومهجهم نعم.

القارئ: وقال: [وَقَالَ [٥٠ الْقَصَص] : ﴿فَإِن لم يَسْتَجِيبُوا لَك فَاعْلَم أَنما يتبعُون أهواءهم وَمن أضل مِمَّن اتبع هَوَاهُ بِغَيْر هدى من الله﴾ وَقَالَ [٢٣ النَّجْم] : ﴿إِن يتبعُون إِلَّا الظَّن وَمَا تهوى الْأَنْفس وَلَقَد جَاءَهُم من رَبهم الْهدى﴾ .

وَلِهَذَا يمِيل هَؤُلَاءِ ويغرمون بِسَمَاع الشّعْر والأصوات الَّتِي تهيج الْمحبَّة الْمُطلقَة الَّتِي لَا تخْتَص بِأَهْل الْإِيمَان بل يشْتَرك فِيهَا محب الرَّحْمَن ومحب الْأَوْثَان ومحب الصلبان ومحب الأوطان ومحب الإخوان ومحب المردان ومحب النسوان وَهَؤُلَاء الَّذين يتبعُون أذواقهم].

الشيخ: يعني مقصوده أن محبة أصوات الأغاني والنغمات الحسنة، مع ما يصاحبها من آلات اللهو، فهذه لا يمكن أن تجتمع معها ما يحبه الله جل وعلا من تلاوة كتابه والاستماع إليه، إلا إذا كان الإنسان يستمع لأجل الصوت فقط، الصوت رخيم وحسن، ولهذا ما يتأثر إلا بالصوت، ومثل هذا لا عبرة في ذلك، وإنما الفارق بين كونه يحب الاستماع لأجل الصوت أو لأجل المعنى التأثر، إذا كان يتأثر وينزجر ويرغب في الخير وينصرف عن الشر، هذه هي الأغاني، وإلا تجده يزداد شرا إذا كان مقصود الصوت فقط، نعم.

القارئ: [وَهَؤُلَاء الَّذين يتبعُون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعْتِبَار لذَلِك بِالْكتاب وَالسّنة وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سلف الْأمة.

فالمخالف لما بعث الله بِهِ رَسُوله من عِبَادَتـه وَحـده وطاعتـه وَطَاعَـة رَسُـوله لَا يكون مُتبعا لدين شَرعه الله أبدا كَمَا قَالَ تَعَالَى [١٨-١٩ الجاثية] : ﴿ثمَّ جعلناك على شَرِيعَة من الْأَمر فاتبعها وَلَا تتبع أهواء الَّذين لَا يعلمُونَ ۝ إِنَّهُم لن يغنوا عَنْك من الله شَيْئا وَإِن الظَّالِمين بَعضهم أَوْلِيَاء بعض وَالله ولى الْمُتَّقِينَ﴾ بل يكون مُتبعا لهواه بِغَيْر هـدى مـن الله قَـالَ تَعَـالَى [٢١ الـشورى] : ﴿أم لَهُم شُرَكَاء شرعوا لَهُم من الدِّين مَا لم يَأْذَن بِهِ الله﴾ .

وهم فِي ذَلِك تَارَة يكونُونَ على بِدعَة يسمونها حَقِيقَة يقدمونها على مَا شَرعـه الله وَتارَة يحتجون بِالْقدرِ الكوني على الشَّرِيعَة كَـمَا أخـبر الله بِـهِ عَـن الْمُـشْركين كَـمَا تقدم.

وَمن هَؤُلَاءِ طَائِفَة هم أعلاهـم عِنْـدهم قـدرا وَهُـوَ مستمـسكون بِـمَا اخْتَـارُوا بهواهم من الدِّين فِي أَدَاء الْفَرَائِض الْمَشْهُورَة وَاجْتنَاب الْمُحرمَات الْمَشْهُورَة لَكِن يضلون بترك مَا أمروا بِهِ من الْأَسْبَاب الَّتِـي هِـيَ عبَـادَة ظـانين أَن الْعَـارِف إِذا شهد الْقدر أعرض عَن ذَلِك مثل من يَجْعَل التَّوَكُّل مِنْهُم أَو الدُّعَاء مِنْهُم وَنَحْـو ذَلِك من مقامات الْعَامَّة دون الْخَاصَّة بِنَاء على أَن من شهد الْقدر علم أَن مَا قدر سَيكون فَلَا حَاجَة إِلَى ذَلِك وَهَذَا ضلال مُبين.

فَإِن الله قدر الْأَشْيَاء بأسبابها كَمَا قدر السَّعَادَة والشقاوة بأسبابهما كَمَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " إِن الله خلق للجنة أَهلا خلقهَا لَهُم وهم فِي أصلاب آبَائِهِم وبعمل أهل الْجنَّة يعْملُونَ وَخلق للنار أَهلا خلقهَا لَهُم وهم فِي أصلاب آبَائِهِم وبعمل أهل النَّار يعْملُونَ " وكما قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لما أخبرهُم بِأَن الله كتب الْمَقَادِير فَقَالُوا: يَا رَسُول الله أَفلا نَدع الْعَمَل ونتكل على الْكتاب؟ فَقَالَ: " لَا اعْمَلُوا فَكل ميسر لما خلق لَهُ أما من كَانَ من أهل السَّعَادَة فسييسر لعمل أهل السَّعَادَة وَأما من كَانَ من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ".

فَكل مَا أَمر الله بِهِ عباده من الْأَسْبَاب فَهُوَ عبَادَة والتوكل مقرون بِالْعبَادَة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى [١٢٣ هود] : ﴿فاعبده وتوكل عَلَيْهِ﴾ وَفِي قَوْله [٣٠ الرَّعْد] : ﴿قل هُوَ رَبِّي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ توكلت وَإِلَيْهِ متاب﴾ وَقَول شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام [٨٨ هود] : ﴿عَلَيْهِ توكلت وَإِلَيْهِ أنيب﴾ .

وَمِنْهُم طَائِفَة قد تترك المستحبات من الْأَعْمَال دون الْوَاجِبَات فتنقص بِقدر ذَلِك.

وَمِنْهُم طَائِفَة يغترون بِمَا يحصل لَهُم من خرق عَادَة - مثل مكاشفة أَو استجابة دَعْوَة مُخَالفَة للْعَادَة وَنَحْو ذَلِك - فيشتغل أحدهم بِهَذِهِ الْأُمُور عَمَّا أَمر بِهِ من الْعِبَادَة وَالشُّكْر وَنَحْو ذَلِك.

فَهَذِهِ الْأُمُور وَنَحْوهَا كثيرا مَا تعرض لأهل السلوك والتوجه وَإِنَّمَا ينجو العَبْد مِنْهَا بملازمة أَمر الله الَّذِي بعث بِهِ رَسُوله فِي كل وَقت كَمَا قَالَ الزُّهْرِيّ: كَانَ من مضى من سلفنا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَام بِالسنةِ نجاة. وَذَلِكَ أَن السّنة كَمَا قَالَ مَالك رَحمَه الله: مثل سفينة نوح من ركبهَا نجا وَمن تخلف عَنْهَا غرق.

وَالْعِبَادَة وَالطَّاعَة والاستقامة وَلُزُوم الصِّرَاط الْمُسْتَقيم وَنَحْو ذَلِك من الْأَسْمَاء مقصودها وَاحِد وَلها أصلان:

أَحدهمَا أَن لَا يعبد إِلَّا الله.

وَالثَّانِي أَلا يعبده إِلَّا بِمَا أَمر وَشرع لَا يعبده بِغَيْر ذَلِك من الْأَهْوَاء والظنون والبدع].

الشيخ: هذان الأصلان جامعان لكل الخير، ولا عبرة بالعمل إلا بهما، فلا يقصد بعبادته إلا رب العالمين جل وعلا، وإذا دخلته المقاصد الأخرى، سواء قصد الدنيا أو حظوظ النفس من الثناء وحب الظهور وإشارة الناس إليه فالعمل حابط وباطل ولا قيمة له، وسوف يندم حين لا ينفع الندم، ولهذا جاءت الآثار الكثيرة من أحاديث النبي ﷺ أن ناسا يوم القيامة يأتون بحسنات ثم يؤمر بهم إلى النار، تقول الملائكة تسأل ربها جل وعلا ما علمنا إلا خيرا، يقول: ما قصدوا بأعمالهم وجه الله، إنما قصدوا كذا وكذا، فالمقاصد يعلمها الله جل وعلا، ولكن الغالب أنها تظهر للناس، ولهذا يعرفون مثلا أن هذا مرائي، وهذا يريد مثلا ظهور عند الناس، ولو لم يخبر بذلك، هذه سنة الله ﷻ، والثاني:

لابد أن يكون العمل جاء به المصطفى في الشرع، وإلا فهو مردود، لهذا يقول الله ﷻ: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾، الغاشية هي يوم القيامة التي تغشى الناس كلهم، ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة﴾، متى كانت خاشعة وعاملة وناصبة؟ في هذه الدنيا، ﴿تصلى نارا حامية﴾، خشوع وعمل ونصب ولكن النتيجة أنها تصلى نارا حامية، لأنها على أعمال مبتدعة ضالة، فصار النصب والخشوع والعمل صار سبيلا إلى جهنم، وقائدا إلى النار نسأل الله العافية يتزودون إلى جهنم بنصبهم وعملهم، ولابد من إتباع الحق الذي جاء به المصطفى ﷺ وإلا يهلك الإنسان، ومن هنا جاء هذان الأصلان، قالوا: لابد أن يكون العمل خالصا لله ﷻ، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾، لابد أن يكون التأله والتعلق بالله وحده، فإذا تعلق القلب بغيره، وصار الالتفات إلى غيره والمقصد إلى شيء معين من أمور الدنيا أو حظوظ النفس فقد ضل الإنسان وهلك، كذلك إذا كان نهجه وعمله على غير ما جاء به المصطفى، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، الأول: معنى شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني: معنى شهادة أن محمد رسول الله، شهادة أن لا إله إلا الله، ألا تأله وتعبد إلا ربك جل وعلا، والذي خلقك وأوجدك وأوجد لك كل شيء، الثاني: أن تكون العبادة هي التي جاء بها الرسول وأمر بها ﷺ، وإلا يكون الإنسان معرض لعذاب الله ﷻ، والأدلة على هذا كثيرة جدا، بل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كلها في هذا، ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾،

العبادة لا تكون إلا طاعة الأمر، والأمر لابد أن يأتي به الرسول الذي أرسله الله إلينا، ما الأمر إلينا نختار ما نشتهيه وما نريد، لابد أن يكون الرسول ﷺ جاء به، فنتبع الهدى، ومعنى شهادة أن محمد رسول الله، أنه رسول والرسول معروف، الرسول أرسل وله مرسل، و فيه رسالة، الرسالة تبلغ إلى مرسل إليه، إذاً كلمة رسول تتطلب أربعة أشياء، أولا رسول يبلغ، الثاني: رسالة تحمل، الثالث: مرسل أرسل بهذه الرسالة، والرابع: مرسل إليه، فنحن الذين أرسل إليهم، لما جاء الرسول ﷺ إلى قيام الساعة، الرسالة هي التي جاء بها المصطفى ﷺ، لابد أن نطيع لهذا ونتبع، وألا نكون عصاة وضلال، وسوف نسأل عن هذا، هل جاءكم الرسول؟، لهذا كان ﷺ يقول: «إنكم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون»، مسئولون عني، يعني يقول الله ﷻ: هل بلغكم الرسول؟ الجواب الرسول ﷺ بلغ كل شيء، لهذا لما قال يهودي لسلمان: نبيكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءه، المقصود بالخراءه يعني أنه يقول: إذا ذهب أحدكم إلى الغائط يستنجي بثلاثة أحجار، ولا يستنجي لا بعظم ولا بروث، حتى هذه يعلمكم لها، فذهب وقال للرسول ﷺ، إن هذا يقول كذا وكذا، قال: «نعم، أنا بمنزلة الوالد لكم أعلمكم كل ما ينفعكم»، في صحيح مسلم يقول ﷺ: «حق على كل نبي أن يدل أمته على خير ما أرسله الله به»، والرسول ﷺ ما ترك شيء، كان يعلمنا مثل هذا أدب التخلي، يقول: «إذا أتى أحدكم إلى قضاء حاجته فليستتر وليرتاد لبوله حتى لا يرجع إليه»، معنى يرتاد يعني يطلب المكان الرطب، إذا

كان المكان صلب، يأتي بحجر أو شيء فيدكه حتى يكون حتى ما يرش عليه يتنجس، بعض الناس يستحي من هذا، يضيع أمر والده، الرسول ﷺ يأتي بالشيء، فإذا كان يعلمنا مثل هذا فيقول: «إذا أراد أحدكم أن يدخل بيته فليقل بسم الله، فإنه إذا قال: بسم الله قال الشيطان لمن معه، حرمتم المبيت، أما إذا لم يسمي دخل معه الشيطان، وإذا قدم الطعام فليقل بسم الله، فإنه إذا قال بسم الله، منع ا لشيطان من مشاركته من طعامه، وإذا لم يصلي قال الشيطان أدركتم المبيت وأدركتم العشاء فيأكل معه»، حتى أراد أن يأتي أهله يجب أن يقول: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإذا قدر بينهما ولد لا يضر شيطان، ولهذا نرى كثيرا من الناس الآن الأولاد كأن معهم شياطين مشاركة لهم، بسبب أن آبائهم لا يسموا، فالله ﷻ يقول: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾، أيش لون يشاركهم في الأموال والأولاد؟ إذا لم يسموا شاركهم في أكلهم، وإذا لم يسموا أيضا عند اتصاله بزوجته شاركه الشيطان، يشاركه فيه، فالمقصود أن الرسول ﷺ كان يعلمنا كان من ينفعنا، هل تتصور أنه يترك باب العقيدة وباب معرفة ربنا ﷻ ملتبس مشبته، حتى يأتي الجهم بن صفوان ونحوه يبين لنا؟ هذا ما يمكن أن يقوله مسلم، يتصور ما يقول، فالذي جاء به المصطفى ﷺ وهذا هو معنى شهادة أن محمد رسول الله، تشهد أنه جاء بالحق وبلغه وبينه، وأن كل ما جاء به يجب أن نترسمه ونعمل به حب الاستطاعة،

هذا يلزم كل واحد حسب الاستطاعة، علق لك باستطاعتك، وهذا من فضل الله ﷻ ورحمته بنا، نعم.

القارئ: [قَالَ تَعَالَى [١١٠ الْكَهْف] : ﴿فَمن كَانَ يَرْجُو لِقَاء ربه فليعمل عملا صَالحا وَلَا يُشْرك بِعبَادة ربه أحدا﴾ وَقَالَ تَعَالَى [١١٢ الْبَقَرَة] : ﴿بلَى من أسلم وَجهه لله وَهُوَ محسن فَلهُ أجره عِنْد ربه وَلَا خوف عَلَيْهِم وَلَا هم يَحْزَنُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى [١٢٥ النِّسَاء] : ﴿وَمن أحسن دينا مِمَّن أسلم وَجهه لله وَهُوَ محسن وَاتبع مِلَّة إِبْرَاهِيم حَنِيفا وَاتخذ الله إِبْرَاهِيم خَلِيلًا﴾ .

فَالْعَمَل الصَّالح هُوَ الْإِحْسَان وَهُوَ فعل الْحَسَنَات والحسنات هِيَ مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ مَا أَمر بِهِ أَمر إِيجَاب أَو اسْتَحَبَّ.

فَمَا كَانَ من الْبدع فِي الدِّين الَّتِي لَيست فِي الْكتاب، وَلَا فِي صَحِيح السّنة، فَإِنَّهَا - وَإِن قَالَهَا من قَالَهَا، وَعمل بهَا من عمل - لَيست مَشْرُوعَة؛ فَإِن الله لَا يُحِبهَا وَلَا رَسُوله، فَلَا تكون من الْحَسَنَات وَلَا من الْعَمَل الصَّالح. كَمَا أَن من يعْمل مَا لَا يجوز، كالفواحش وَالظُّلم لَيْسَ من الْحَسَنَات وَلَا من الْعَمَل الصَّالح.

وَأما قَوْله [١١٠ الْكَهْف] : ﴿وَلَا يُشْرك بِعبَادة ربه أحدا﴾ وَقَوله [١١٢ الْبَقَرَة] ﴿أسلم وَجهه لله﴾ فَهُوَ إخلاص الدِّين لله وَحده وَكَانَ عمر بن الْخطاب يَقُول: اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحا واجعله لوجهك خَالِصا وَلَا تجْعَل لأحد فِيهِ شَيْئا].

الشيخ: نعم، كله صالحا، يعني كله وفق ما جاء به الشرع، لأن الصالح هو ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا كان البدع والآراء والأهواء ليس صالحا بل هو فاسد، والإخلاص كونه يكون لله وحده، لأن العمل قد يكون صالحا في نفسه لأنه موافق للسنة، ولكنه قد يدخل الرياء، يدخله المرادات الناس أو مراءاتهم أو صرف وجوههم إليه حتى يثنوا عليه ويمدحوه فيكون أيضا فيه شرك، فيكون مردودا وإن كان صالحا، نعم.

القارئ: [وَقَالَ الفضيل بن عِيَاض فِي قَوْله تَعَالَى [٧ هود، ٢ الْملك] : ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيّكُم أحسن عملا﴾ قَالَ: أخلصه وأصوبه قَالُوا: يَا أَبَا عَليّ مَا أخلصه وأصوبه؟ قَالَ: إِن الْعَمَل إِذا كَانَ خَالِصا وَلم يكن صَوَابا لم يقبل وَإِذا كَانَ صَوَابا وَلم يكن خَالِصا لم يقبل حَتَّى يكون خَالِصا صَوَابا والخالص أَن يكون لله وَالصَّوَاب أَن يكون على السّنة].

الشيخ: وهذا هو معنى الشرطين المتقدمين، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، فهذا الذي يجب على المسلم أن يفهمه جيدا، ويعمل على مقتضاه، لأنه لا خلاص له إلا بذلك، وسوف يسأل عنه حينما يحل في قبره أول ما يحل، لأن الله علام الغيوب لا يخفى عليه شيء، لا يأخذ الله ﷻ إلا بالعمل الذي يعمله الإنسان، لهذا في حديث عبد الله بن مسعود الذي اتفق عليه البخاري ومسلم وهو أصل من أصول الدين الإسلامي: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة»، إلى أن قال: « وإن أحدكم ليعمل

بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا شبر أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»، يعني يموت على ذلك فيدخلها، وبالعكس: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا شبر أو ذراع»، شبر أو ذراع يعني مسافة قصيرة جدا: «فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»، ثم قال: «إنما الأعمال بالخواتيم»، يعني الذي يختم له على ذلك، والشاهد هنا أنه قال: فيعمل بعمل أهل النار، وفي المقابل، فيعمل بعمل أهل الجنة، لن يدخل الجنة والنار بمجرد الكتابة لا، لابد من العمل، فالعمل هو الذي يجزى عليه الإنسان، لهذا نقول: إن هذا أمر مهم جدا، وأهميته قد لا تدرك بالنظر ولكن إذا عايش الإنسان ذلك عرف كيف، وهذا قلنا: مهمة العبد المسلم أنه دائما يسأل ربه أن يهديه الصراط المستقيم وأن يثبته على هذا، وأن يجعل عمله خالصا، فإذا كان مثلا: عمر رضي الله عنه يخاف يقول: اللهم اجعل عملي صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيء، مقتضى الدعاء هذا أنه خايف، أنه يخاف أنه يعمل عملا غير صالح، أو أنه يكون في عمله شيء يبطله، لغير مراد الله جل وعلا، إذ لو كان آمن ما دعا بهذا الدعاء، وهكذا، ولهذا لما مر على إبراهيم التيمي رحمه الله، إبراهيم التيمي من أكبر التابعين ومن أكبر أولياء الله، لما مر على قوله عز وجل: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾، قال: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ يعني إبراهيم ما أمن لأنه قال: ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾، الناس لهم عقول ولهم أفكار، ومع

ذلك ضلوا، صاروا عبدة للأصنام، مع العقول والأفعال، قال: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم، إبراهيم التيمي رحمه الله، كان من تلامذة الصحابة وأتباع الصحابة، فهو الإنسان الذي وصل إلى الحقيقة، حقيقة التوحيد، كان فقيرا وقصر نفسه على التعليم وعلى العمل، فصار مرة أتت إليه زوجته وهو جالس مع تلامذته، قالت: الأولاد جياع، اخرج ابحث لنا عن طعام فهم يومين ما ذاقوا شيء، فألزمته فخرج، وليس معه شيء، خرج وركب راحلته وذهب ليأتي بطعام من بلد ما، فلما وصل ما وجد شيء، كيف؟ الناس لا يعطون الطعام إلا بمقابل فرجع، لما أقبل على بيته قال: أدخل كما خرجت ينظرون إلي الناس، فأناخ راحلته عند كيب رمل، فملأ الأواني التي معه رمل، حتى يري الناس أنه جاء بشيء، وأدخل الناقة في البيت ونزل عنها الرمال وذهب إلى مجلسه، وجاءت الزوجة مسرعة ففتحت الغرائر، فإذا هو حب أحمر خالص ليس فيه أي خلط، فجاءت تشكره تقول: جزاك الله خيرا جئتنا بحب لا يحتاج إلى تطييب، فيعني كفاه الله ﷻ مؤنة الطلب، فهذا شيء يجزى به الإنسان، وإن كان هم لا يعدون مثل هذه شيء، وإنما المهم أن يعملوا لآخرتهم، ويجتهدوا في ذلك، المقصود أن قوله هذا يدل على الخوف، ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم، إبراهيم الذي هو خليل الرحمن، كثير من الناس يقول: لا، أنا الحمد لله ما نخف على أنفسنا، من يعلم، القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولهذا لما ذكر الله ﷻ الأمر بقوله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع

قلوبهم لذكر الله﴾، إلى آخره جاء بعدها: ﴿اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية: اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها، يعني يهدي من يشاء بعد الضلال ويضل من يشاء بعد الكمال، ليس المقصود النبات الذي يكون في الأرض، يعني احذروا واعلموا ذلك نعم.

القارئ: [فَإِن قيل: فَإِذا كَانَ جَمِيع مَا يُحِبهُ الله دَاخِلا فِي اسْم الْعِبَادَة فلماذا عطف عَلَيْهَا غَيرهَا كَقَوْلِه فِي فَاتِحَة الْكتاب [٥ الْفَاتِحَة]:

﴿إياك نعْبد وَإِيَّاك نستعين﴾ وَقَوله لنَبيه [١٢٣ هود]: ﴿فاعبده وتوكل عَلَيْهِ﴾ وَقَول نوح [٣ نوح]: ﴿اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ وَكَذَلِكَ قَول غَيره من الرُّسُل؟

قيل: هَذَا لَهُ نَظَائِر كَمَا فِي قَوْله [٤٥ العنكبوت]: ﴿إِن الصَّلَاة تنْهى عَن الْفَحْشَاء وَالْمُنكر﴾ والفحشاء من الْمُنكر وَكَذَلِكَ قَوْله [٩٠ النَّحْل]: ﴿إِن الله يَأْمر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان وإيتاء ذِى الْقُرْبَى وَينْهى عَن الْفَحْشَاء وَالْمُنكر وَالْبَغى﴾ وإيتاء ذِي الْقُرْبَى].

الشيخ: لا يكفي أن نقول الجواب هذا له نظائر، الجواب أن نقول: هذا العطف لأمور، ولكن الشيخ رحمه الله يكتب للعلماء، لطلبة العلم، فالعطف إما

للاهتمام، أو أنه ينص عليه لأنه قد يوهم أن الأول يقتدى به، وهذا كثير في قوله: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، هل يمكن إيمان بلا عمل صالح؟ ما يمكن، الأعمال الصالحات هي التي يحصل بها الإيمان، وهذا الذي اغتر به كثير من الناس مثل المرجئة الذين يقولون: يكتفى بالإيمان، بدليل أن العطف اقتضى المغايرة، فلو مثلا كان العمل الصالح كما تقولون: أنه جزء من الإيمان، ما جاءت الأعمال معطوفة على الإيمان، فهذا خطأ، ولهذا أحيانا يكتفى بالإيمان إذا كان الإيمان مطلقا، لأنه يقتضي الأعمال الأخرى نعم، وأحيانا يعطف الشيء على نفس الشيء، كقوله ﷻ: ﴿الذى خلق فسوىٰ والذى قدر فهدىٰ والذى أخرج المرعىٰ﴾، من هو الذي أخرج المرعى ومن هو الذي قدر فسوى؟ هو الله جل وعلا، هذه كلها عطفت على شيء واحد، تعطف، ولكن الاهتمام بذلك يكون الأمر واضح وجلي نعم.

القارئ: [وإيتاء ذِي الْقُرْبَى هُوَ من الْعدْل وَالْإِحْسَان كَمَا أَن الْفَحْشَاء وَالْبَغي من الْمُنكر وَكَذَلِكَ قَوْله [١٧٠ الْأَعْرَاف] : ﴿وَالَّذين يمسّكون بِالْكتاب وَأَقَامُوا الصَّلَاة﴾].

الشيخ: التمسيك بالكتب من إقامة الصلاة، ولكن لما كانت الصلاة لها أهمية عطفت على ذلك، وإن كانت مفهومة من الآية نعم.

القارئ: [وَإِقَامَة الصَّلَاة من أعظم التَّمَسُّك بِالْكتاب وَكَذَلِكَ قَوْله عَن أنبيائه [٩٠ الْأَنْبِيَاء] : ﴿إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخيرَات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ ودعاؤهم رغبا ورهبا من الْخيرَات وأمثال ذَلِك فِي الْقُرْآن كثير].

الشيخ: كل القرآن بهذه الصفة، كله بهذه الصفة نعم ولا يجوز أن يكون هذا من الأمور التي يشكك فيها، أو تكون مدعاة إلى ترك العمل كما يقوله أهل الضلال الذين يسمون مرجئة، والمرجئة أخذوا من الإرجاء الذي هو التأخير، الذي أخر الأمر عن الإيمان وقالوا: يكتفى بالإيمان عن العمل، فإذا كان الإنسان مؤمن لا يلزم أن يصلي أو يصوم، ويكفي، ثم قالوا: إن الإيمان بناء على ذلك الإيمان واحد، يعني الناس فيه سواء، لا يكون أحدهما متميزا عن الآخر بإيمانه، وكل هذا خطئ، وضلال، الله ﷻ فاوت بين خلقه بالفهوم وبالعلوم وبالعمل، وكل ما كان الإنسان لله أعلم، المفروض أن يكون له أخوف، ويكون مقامه عنده أرفع، هذا يعني مقضتاه ولكن الأمر بيد الله، يعني لا يكفي هذا، لابد من توفيق الله، لابد أن الله ﷻ يجعله يعني محبا لهذا الأمر وراغبا فيه وعاملا، وإلا إذا تخلى الله عن العبد فإن الشياطين هي التي تولاه، تولاه الشياطين وأهواء نفسه ويضل وإن كان عالما نعم.

القارئ: [وَهَذَا الْبَاب يكون تَارَة مَعَ كَون أَحدهمَا بعض الآخر فيعطف عَلَيْهِ تَخْصِيصًا لَهُ بِالذكر لكَونه مَطْلُوبا بِالْمَعْنَى الْعَام وَالْمَعْنَى الْخَاص.

وَتارَة تتنوع دلَالَة الِاسْم بِحَال الِانْفِرَاد والاقتران فَإِذا أفرد عَم وَإِذا قرن بِغَيْرِهِ خص كاسم الْفَقِير والمسكين لما أفرد أَحدهمَا فِي مثل قَوْله [٢٧٣ الْبَقَرَة] : ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذين أحْصرُوا فِي سَبِيل الله﴾ وَقَوله [٨٩ الْمَائِدَة] : ﴿إِطْعَام عشرَة مَسَاكِين﴾ دخل فِيهِ الآخر].

الشيخ: أي دخل فيه الفقير، والأول دخل فيه المسكين، ثم إذا جاءا مجتمعين في قوله تعالى: ﴿للفقراء والمساكين والعاملين عليها﴾، إلى آخره، فيفسر الفقير بشيء، والمسكين يفسر بمعنى آخر، ولهذا الفقهاء يقولون: الفقراء يقدمون في الزكاة على المساكين، لأن الفقراء أكثر حاجة، لأن الله قدمهم، وقالوا في تعريف الفقير: هو الذي لا يجد شيئا، والمسكين هو الذي يجد بعض القوت، كل هذا أخذا من كلام الله جل وعلا، ويشهد لهذا قول الرسول ﷺ لما كان في الحج يقول: «نبدأ بما بدأ الله به: ﴿إن الصفا والمروة﴾»، فبدأ بالصفا، لأن تقديم الشيء يدل على الاهتمام به، لأنه أكثر لزوما وحاجة نعم.

القارئ: [وَلما قرن بَينهمَا فِي قَوْله [٦٠ التَّوْبَة] : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَات لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِين﴾ صَارا نَوْعَيْنِ].

الشيخ: ومثل هذا الإسلام والإيمان، ومثله البر والتقوى، وما أشبه ذلك كثير نعم.

القارئ: [وَقد قيل: إِن الْخَاص الْمَعْطُوف على الْعَام لَا يدْخل فِي الْعَام حَال الاقتران بل يكون من هَذَا الْبَاب وَالتَّحْقِيق أَن هَذَا لَيْسَ لَازِما قَالَ تَعَالَى [٩٨ الْبَقَرَة] : ﴿من كَانَ عدوا لله وَمَلَائِكَته وَرُسُله وَجِبْرِيل وميكال﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٧ الْأَحْزَاب] : ﴿وَإِذ أَخذنَا من النَّبِيين ميثاقهم ومنك وَمن نوح وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى ابْن مَرْيَم﴾ .

وَذكر الْخَاص مَعَ الْعَام يكون لأسباب متنوعة: تَارَة لكَونه لَهُ خاصية لَيست لسَائِر أَفْرَاد الْعَام كَمَا فِي نوح وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى وَتارَة لكَون الْعَام فِيهِ إِطْلَاق قد لَا يفهم مِنْهُ الْعُمُوم كَمَا فِي قَوْله [٢-٤ الْبَقَرَة] : ﴿هدى لِلْمُتقين الَّذين يُؤمنُونَ بِالْغَيْبِ ويقيمون الصَّلَاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفقُونَ وَالَّذين يُؤمنُونَ بِمَا أنزل إِلَيْك وَمَا أنزل من قبلك﴾ فَقَوله: ﴿يُؤمنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يتَنَاوَل كل الْغَيْب الَّذِي يجب الْإِيمَان بِهِ لَكِن فِيهِ إِجْمَال فَلَيْسَ فِيهِ دلَالَة على أَن من الْغَيْب ﴿مَا أنزل إِلَيْك وَمَا أنزل من قبلك﴾ وَقد يكون الْمَقْصُود أَنهم يُؤمنُونَ بالمخبر بِهِ وَهُوَ الْغَيْب وبالإخبار بِالْغَيْبِ وَهُوَ ﴿مَا أنزل إِلَيْك وَمَا أنزل من قبلك﴾ .

وَمن هَذَا الْبَاب قَوْله تَعَالَى [٤٥ العنكبوت] : ﴿اتل مَا أُوحِي إِلَيْك من الْكتاب وأقم الصَّلَاة﴾ وَقَوله [١٧٠ الْأَعْرَاف] : ﴿وَالَّذين يمسّكون بِالْكتاب وَأَقَامُوا الصَّلَاة﴾ وتلاوة الْكتاب هِيَ اتِّبَاعه وَالْعَمَل بِهِ كَمَا قَالَ ابْن مَسْعُود فِي قَوْله

تَعَالَى [١٢١ الْبَقَرَة] : ﴿الَّذين آتَيْنَاهُم الْكتاب يتلونه حق تِلَاوَته﴾ قَالَ: يحلّون حَلَاله ويحرمون حرَامه ويؤمنون بمتشابهه ويعملون بمحكمه. فاتباع الْكتاب يتَنَاوَل الصَّلَاة وَغَيرهَا لَكِن خصها بِالذكر لمزيتها وَكَذَلِكَ قَوْله لمُوسَى [١٤ طه] : ﴿إِنَّنِى أَنا الله لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدنى وأقم الصَّلَاة لذكرى﴾ وَإِقَامَة الصَّلَاة لذكره من أجلِّ عِبَادَته وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى [٧٠ الْأَحْزَاب] : ﴿اتَّقوا الله وَقُولُوا قولا سديدا﴾ وَقَوله [٣٥ الْمَائِدَة] : ﴿اتَّقوا الله وابتغوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَة﴾ وَقَوله [١١٩ التَّوْبَة] : ﴿اتَّقوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين﴾ فَإِن هَذِه الْأُمُور هِيَ أَيْضا من تَمَام تقوى الله وَكَذَلِكَ قَوْله [١٢٣ هود] : ﴿فاعبده وتوكل عَلَيْهِ﴾ فَإِن التَّوَكُّل هُوَ الِاسْتِعَانَة وَهِي من عبَادَة الله لَكِن خصت بِالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها فَإِنَّهَا هِيَ العون على سَائِر أَنْوَاع الْعِبَادَة إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعبد إِلَّا بمعونته].

الشيخ: هذا الذي ذكره الشيخ هذا من باب الاستطراد، ليس من صلب الموضوع، وعادته هكذا أنه يستطرد أحيانا ويأتي بأشياء ليست في الموضوع الذي يتكلم فيه، وهذا كثير جدا في كتبه رحمه الله لكثرة علمه، ولكونه عنده من الحرص على نفع المتعلم الشيء الكثير، وقد أطال في هذا المعنى في كتابه الإيمان الكبير، وقال: هذه أمور يجب أن تفهم وتعلم، حتى لا يكون هناك مخالفة لما وقع فيه كثير من الناس، بحيث أنهم لم يفهموا هذا الشيء، فالمقصود أن كتاب

الله ﷻ نزل باللغة العربية، واللغة العربية هي إذا لم يفهمها الإنسان كما ينبغي، ويفهم مفرداتها ويفهم إذا اقترنت مثلا صار لها معنى وإذا انفردت صار لها معنى، وغير ذلك، لا يفهم كلام الله جل وعلا، أنه في هذه اللغة، وهو أمر ينبغي لطالب العلم أن يهتم به كثيرا، لأنه يحل له إشكالات استشكلها بعض الناس الذين لم يعتنوا بذلك، نعم.

القارئ: [إِذا تبين هَذَا فكمال الْمَخْلُوق فِي تَحْقِيق عبوديته لله وَكلما ازْدَادَ العَبْد تَحْقِيقا للعبودية ازْدَادَ كَمَاله وعلت دَرَجَته وَمن توهم أَن الْمَخْلُوق يخرج من الْعُبُودِيَّة بِوَجْه من الْوُجُوه أَو أَن الْخُرُوج عَنْهَا أكمل فَهُوَ من أَجْهَل الْخلق بل من أضلهم قَالَ تَعَالَى [٢٦-٢٨ الْأَنْبِيَاء] :

﴿وَقَالُوا اتخذ الرَّحْمَن ولدا سُبْحَانَهُ بل عباد مكرمون ۝ لَا يسبقونه بالْقَوْل وهم بأَمْره يعْملُونَ ۝ يعلم مَا بَين أَيْديهم وَمَا خَلفهم وَلَا يشفعون إِلَّا لمن ارتضى وهم من خَشيته مشفقون﴾].

الشيخ: يعني الملائكة هم من أفضل الخلق في عبادة الله جل وعلا، ولهذا كانوا في السماوات والأرض، خلقهم لعبادته فهم لا يفترون عن العبادة ولا يستحسرون، فيقفون هم عباد لله جل وعلا مكرمون بعبادته، فكيف بمن يكون بعيدا ويكون متبعا لشهواته، ويكون، فالمقصود أن الإنسان لا يجوز أن يخرج عن عبودية الله بحال من الأحوال، وكماله في ذلك، فإذا خرج عنها وزعم

أنه أبيح له كل شيء، فإنه شيطان من الشياطين، يعني صار مسلكه مسلك الشيطان، وقد ضل في هذا كثير من الناس نسأل الله العافية، وزعموا أنهم أولياء، بل زعموا أنهم ختمت بهم الولاية، وهم أرادوا إتباع أهوائهم، ولهذا فتحوا الباب أمامهم، وقالوا: ليس هناك شيء محرم علينا، لأننا وصلنا إلى الغاية، طيب إذا وصلت إلى الغاية، يعني أنت تصل إلى شهواتك وإلى مراداتك، أما الملائكة هم قائمون بعبادة الله الليل والنهار لا يفترون عن ذلك، وكذلك رسل الله يجتهدون في عبادة الله ويحذرون المخالفة أدنى مخالفة، هل يستساغ مثلا آحاد الناس يكون له شيء من ذلك، أن يقول: خففت عني أو أزيلت عني التكاليف فأصبحت غير مكلف، هذا لابد أنه إما أنه يريد إفساد أديان الناس، أو أنه يريد فقط التغطية حتى يتحصل على شهواته ومراداته، أما عباد الله فهم يخافون من الله أشد الخوف، إذا وقع أحدهم في أدنى مخالفة بادر إلى التوبة والرجوع إلى الله جل وعلا نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٨٨-٩٥ مَرْيَم] : ﴿وَقَالُوا اتخذ الرَّحْمَن ولدا ۙ لقد جِئْتُمْ شَيْئا إدا ۙ تكَاد السَّمَاوَات يتفطرن مِنْهُ وتنشق الأَرْض وتخر الْجبَال هدا ۙ أَن دعوا للرحمن ولدا ۙ وَمَا يَنْبَغِي للرحمن أَن يتَّخذ ولدا ۙ إِن كل من فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض إِلَّا آتِي الرَّحْمَن عبدا ۙ لقد أحصاهم وعدهم عدا ۙ وَكلهمْ آتيه يَوْم الْقِيَامَة فردا ﴾].

الشيخ: سبق أن هذا معناه، قوله: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾، يعني آتيه ذليلا خاضعا ليس بيده أي شيء أي تصرف، لا يملك حتى الشيء الذي يستر به عورته، لأنه هكذا يأتون يخرجون من قبورهم حفاة عراة غرلا، قيل للرسول ﷺ: ما غرلا؟ قال: «غير مختنين»، يعني القطعة التي ترمى من بدن الإنسان تعود إليه، ما يفقد من بدنه أي شيء، حتى يذوق الألم في بدنه كله، أو النعيم، بدنه كله، والمقصود أنهم يأتون حفاة عراة، لما سمعت عائشة رضي الله عنها هكذا قالت: وا سوأتاه الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أعظم من ذاك»، ما فيه أحد يهمه النظر، كلهم شاخصة أبصارهم، بلغت قلوبهم الحناجر، ما يدري من بجواره، ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾، يعني شبه سكارى، لكن ليس سكران ولكن عذاب الله شديد، فالأمر في هذه الحالة، ولا تمييز في هذا بين غني وفقير وملك ومملوك كلهم سواء في الجميع بهذه الصفة، وأول من يكسى من عريه في الموقف إبراهيم عليه السلام، وإذا كانت الأنبياء هكذا أيضا كيف بغيرهم؟ المقصود أن هذا المجيء: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾، يعني ذليلا خاضعا، وليس من باب العبودية التي تنفع، العبودية المختارة التي يختارها هو، بل هذه عبودية القهر، وجريان الحكم القدري الذي لا حيلة فيه ولا أحد يمكن أنه يتخلص منه،

وهذا أعم الملائكة وعم البشر وعم كل مخلوق، إن كل، لأن هذه إن معناها ما، ما في السماوات والأرض أحد إلا ويأتي بهذه الصفة، نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى فِي الْمَسِيح [٥٩ الزخرف] : ﴿إِن هُوَ إِلَّا عبد أنعمنا عَلَيْهِ وجعلناه مثلا لبنى إِسْرَائِيل﴾].

الشيخ: يعني عيسى عليه السلام، لما قال النصارى: أنه الله أو ابن الله، قال: أنه عبد من عباد الله، أنعمنا عليه، يعني أنعم الله خصته زيادة على غيره، حيث خلقه من أنثى بلا ذكر، ثم صار يتكلم وهو في المهد، علمه الله الكتاب، علمه ما علمه، وجعل له من الآيات الشيء الذي ما حصل لغيره كإحياء الأموات، وكونه يخبر بني إسرائيل بما في بيوتهم، وبنو إسرائيل يعني كثيرا منهم ضلوا في هذا، وجعلوه إما الله تعالى الله وتقدس، والفريق الثاني رموا أمه بالفجور وحالوا قتله، ولكن الله رفعه إلى السماء، وسوف ينزل في آخر الوقت، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية، فهو من هذه الأمة، ويحكم بشرعة خاتم الرسل محمد ﷺ، ويقتل الدجال، ولكن هذا من أشراط الساعة الكبار، التي إذا جاءت فلا أحد يقبل منه إيمان، ولا يقبل منه أيضا عمل صالح يزداد به، قال جل وعلا: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾، فهذا من بعض الآيات التي في صحيح مسلم: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت، الدجال

والدابة وطلوع الشمس من مغربها»، والدجال جعله إذا خرج آية من الآيات الكبيرة، لأن الكون يبدأ بالتغير، لهذا أول يوم يخرج فيه يكون كسنة، واليوم الثاني يكون كشهر، واليوم الثالث يكون كأسبوع، ثم تعود الأيام إلى ذلك، لهذا يضطر الناس إلى الإيمان، يوم واحد سنة؟ ليس هذا من باب التأويل، ولهذا قال الصحابة: يا رسول الله كيف نصنع بالصلاة في اليوم الذي كسنة وكشهر وكأسبوع؟ قال:«اقدروا له»، يعني صلوا صلاة سنة في هذا اليوم، والثاني صلوا صلاة أسبوع، على كل حال، هذه من الأمور التي يخبرنا بها رسولنا ﷺ يجب علينا أن نؤمن بها، وسوف تقع، ولكن الله أعلم متى تقع نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [١٧٢-١٧٣ النِّسَاء] : ﴿لن يستنكف الْمَسِيح أَن يكون عبدا لله وَلَا الْمَلَائِكَة المقربون وَمن يستنكف عَن عِبَادَته ويستكبر فسيحشرهم إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾].

الشيخ: الاستنكاف هو أنه يرى أنه فيه عليه غضاضة فلا يقبله، يستنكف من هذا الشيء، كأنه يترفع عنه، الاستكبار الكبر أن يمتنع من امتثال الأمر، وهذا لا يكون لعبد من عباد الله جل وعلا، ما دام الملائكة و المسيح عليه السلام يخضع ويذل لله ﷻ ويقر أنه عبد، فغيره من باب أولى، كذلك عباده الصالحون، بل يغتبط العبد بأنه يعبد ربه، ويرى أن هذا من أفضل ما يأتيه، كونه عبدا لله، وإضافته إلى ربه كونه عبد الله هذا شرف، نعم.

القارئ: [﴿فَأَما الَّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات فيوفيهم أُجُورهم ويزيدهم من فَضله وَأما الَّذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذَابا أَلِيمًا وَلَا يَجدونَ لَهُم من دون الله وليا وَلَا نَصِيرًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٦٠ غَافِر] : ﴿وَقَالَ ربكُم ادْعُونِي أَسْتَجِب لكم إِن الَّذين يَسْتَكْبِرُونَ عَن عبادتي سيدخلون جَهَنَّم داخرين﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٣٧-٣٨ فصلت] : ﴿وَمن آيَاته اللَّيْل وَالنَّهَار وَالشَّمْس وَالْقَمَر لَا تسجدوا للشمس وَلَا للقمر واسجدوا لله الَّذِي خَلقهنَّ إِن كُنْتُم إِيَّاه تَعْبدُونَ فَإِن استكبروا فَالَّذِينَ عِنْد رَبك يسبحون لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار وهم لَا يسأمون﴾].

الشيخ: قوله: ﴿والذين عند ربك﴾، عند هذه تدل على المكان، عند ربك، والمقصود هم الملائكة، ومعنى ذلك أن الملائكة أقرب إلى الله منا، ممن في الأرض، ويدل على أن الله جل وعلا أنه فوق، وأن الملائكة الذين في السماء يكنون أقرب إليه من الذين يكونون في الأرض، فيسبحون له بالليل والنهار وهم لا يفترون، لا يفترون من التسبيح دائما، وتسبيحهم كأنه مثل النفس الذي ألهمنا إياه فإذا وقف النفس مات الإنسان، هم كذلك، كانت حياتهم، بل أكلهم وشربهم هو التسبيح، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وكذلك أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، ويكون ذلك من النعيم نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٢٠٥-٢٠٦ الْأَعْرَاف] : ﴿وَاذْكُر رَبك فِي نَفسك تضرعا وخيفة وَدون الْجَهْر من القَوْل بِالْغُدُوِّ وَالْآصَال وَلَا تكن من الغافلين إِن الَّذين عِنْد رَبك لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَته ويسبحونه وَله يَسْجُدُونَ﴾ .

وَهَذَا وَنَحْوه مِمَّا فِيهِ وصف أَكَابِر الْخلق بِالْعبَادَة وذم من خرج عَن ذَلِك مُتَعَدد فِي الْقُرْآن وَقد أخبر أَنه أرسل جَمِيع الرُّسُل بذلك].

الشيخ: هذا الأمر الذي يشير إليه المؤلف رحمه الله عجبا أنه يحتاج إلى استدلال، لأنه يقصد بذلك أن هؤلاء قالوا: إننا خرجنا عن مقتضى العبودية، ووصلنا إلى حد قد سقطت عنا التكاليف والعبادات فلا نعبد، لأننا قد وصلنا إلى الحقيقة، هل هذا يحتاج إلى أن يستدل عليه؟ إنه ضلال بين واضح، لكن قد مثلا ينطلي على بعض الجهلة، بعض الناس الذين يحسنون الظن بهؤلاء فيصدقونه، ولهذا أكثر الاستدلال على ذلك نعم.

القارئ: [فَقَالَ تَعَالَى [٢٥ الْأَنْبِيَاء] : ﴿وَمَا أرسلنَا من قبلك من رَسُول إِلَّا نوحى إِلَيْهِ أَنه لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدون﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٣٦ النَّحْل] : ﴿وَلَقَد بعثنَا فِي كل أمة رَسُولا أَن اعبدوا الله وَاجْتَنبُوا الطاغوت﴾ وَقَالَ تَعَالَى لبنى إِسْرَائِيل [٥٦ العنكبوت] : ﴿يَا عبَادى الَّذين آمَنُوا إِن أرضى وَاسِعَة فإياى فاعبدون﴾ [٤١ الْبَقَرَة] : ﴿وإياى فاتقون﴾ وَقَالَ [٢١ الْبَقَرَة] : ﴿يَا أَيهَا

النَّاس اعبدوا ربكُم الَّذِى خَلقكُم وَالَّذين من قبلكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ وَقَالَ [٥٦ الذاريات] : ﴿وَمَا خلقت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا ليعبدون ﴾ وَقَالَ تَعَالَى [١١-١٥ الزمر] : ﴿قل إِنِّى أمرت أَن أعبد الله مخلصا لَهُ الدِّين ۝ وَأمرت لِأَن أكون أول الْمُسلمين ۝ قل إِنِّى أَخَاف إِن عصيت رَبِّى عَذَاب يَوْم عَظِيم ۝ قل الله أعبد مخلصا لَهُ دينى ۝ فاعبدوا مَا شِئْتُم من دونه ﴾ .

وكل رَسُول من الرُّسُل افْتتح دَعوته بِالدُّعَاءِ إِلَى عبَادَة الله كَقَوْل نوح وَمن بعده عَلَيْهِم السَّلَام فِي سُورَة الشُّعَرَاء وَغَيرهَا [٥٩ الْأَعْرَاف] : ﴿اعبدوا الله مَا لكم من إِلَه غَيره ﴾ .

وَفِي " الْمسند " عَن ابْن عمر عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: «بعثت بِالسَّيْفِ بَين يدى السَّاعَة حَتَّى يُعبد الله وَحده لَا شريك لَهُ وَجعل رِزْقِي تَحت ظلّ رُمْحِي وَجعل الذلة وَالصغَار على من خَالف أمرى».

وَقد بَين أَن عباده المخلصين هم الَّذين ينجون من السَّيِّئَات الَّتِي زيّنها الشَّيْطَان قَالَ الشَّيْطَان [٣٩-٤٠ الْحجر] : ﴿قَالَ رب بِمَا أغويتنى لأزينن لَهُم فِى الأَرْض ولأغوينهم أَجْمَعِين ۝ إِلَّا عِبَادك مِنْهُم المخلصين﴾ قَالَ تَعَالَى [٤١-٤٢ الْحجر] : ﴿هَذَا صِرَاط عَلىّ مُسْتَقِيم ۝ إِن عبَادى لَيْسَ لَك عَلَيْهِم سُلْطَان إِلَّا من اتبعك من الغاوين ﴾ وَقَالَ [٨٢-٨٣ ص] : ﴿فبعزتك لأغوينهم

أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادك مِنْهُم المخلصين﴾ وَقَالَ فِي حق يُوسُف [٢٤ يُوسُف] : ﴿كَذَلِك لنصرف عَنهُ السوء والفحشاء إِنَّه من عبادنَا المخلصين﴾ وَقَالَ تَعَالَى [١٥٩-١٦٠ الصافات] : ﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يصفونَ إِلَّا عباد الله المخلصين﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٩٩-١٠٠ النَّحْل] : ﴿إِنَّه لَيْسَ لَهُ سُلْطَان على الَّذين آمنُوا وعَلى رَبهم يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانه على الَّذين يتولونه وَالَّذين هم بِهِ مشركون﴾ .

وبالعبودية نعت كل من اصْطفى من خلقه فِي قَوْله [٤٥-٤٧ ص] : ﴿وَاذْكُر عبادنَا إِبْرَاهِيم وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب أولى الْأَيْدِي والأبصار إِنَّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدَّار وَإِنَّهُم عندنَا لمن المصطفين الأخيار﴾ وَقَوله [١٧ ص] : ﴿وَاذْكُر عَبدنَا دَاوُد ذَا الأيد إِنَّه أواب﴾ . وَقَالَ عَن سُلَيْمَان [٣٠ ص] : ﴿نعم العَبْد إِنَّه أواب﴾ . وَعَن أَيُّوب [٤٤ ص] : ﴿نعم العَبْد﴾ . وَقَالَ عَنهُ [٤١ ص] : ﴿وَاذْكُر عَبدنَا أَيُّوب إِذْ نَادَى ربه﴾ . وَقَالَ عَن نوح عَلَيْهِ السَّلَام [٣ الْإِسْرَاء] : ﴿ذُرِّيَّة من حملنَا مَعَ نوح إِنَّه كَانَ عبدا شكُورًا﴾ . وَقَالَ عَن خَاتم رسله [١ الْإِسْرَاء] : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا من الْمَسْجِد الْحَرَام إِلَى الْمَسْجِد الْأَقْصَى﴾ - وَهُوَ أولى الْقبْلَتَيْنِ، وَقد خصّه الله بِأَن جعل الْعِبَادَة فِيهِ بخمسمئة ضعف، وَالْمُقْصُود بمضاعفة

الْحَسَنَات هُوَ الْمَسْجِد الَّذِي حرقه الْيَهُود، عَلَيْهِم لعنة الله، ويظن الْبَعْض أَن الْمَسْجِد الْأَقْصَى هُوَ الصَّخْرَة والقبة المحيطة بهَا، وَلَيْسَ كَذَلِك - وَقَالَ [١٩ الْجِنّ] : ﴿وَأَنه لما قَامَ عبد الله يَدعُوهُ﴾ وَقَالَ [٢٣ الْبَقَرَة] : ﴿وَإِن كُنْتُم فِي ريب مِمَّا نزلنَا على عَبدنَا﴾ وَقَالَ [١٠ النَّجْم] : ﴿فَأوحى إِلَى عَبده مَا أوحى﴾ وَقَالَ [٦ الْإِنْسَان] : ﴿عينا يشرب بهَا عباد الله﴾ وَقَالَ [٦٣ الْفرْقَان] : ﴿وَعباد الرَّحْمَن الَّذين يَمْشُونَ على الأَرْض هونا﴾ وَمثل هَذَا كثير مُتَعَدد فِي الْقُرْآن].

الشيخ: كون كل أحد عبدا لله جل وعلا لا يحتاج إلى استدلال لهذا، ولكن قد يخفى عند بعض الناس هذا لإحسان الظن بمن يقول خلاف هذا، فيحتاج إلى أن يبين له ويستدل على ذلك بالأدلة الظاهرة مثل هذه الأدلة التي ذكرها من كتب الله جل وعلا وسنة رسوله، وكل مخلوق لا يخرج عن العبادة كما سيأتي، إما أن تكون العبادة عبادة عن اختيار أو مقدرة، أو عبادة قهر وجريان القدر عليه، وإن لم يكن مكلف بذلك، هذا كل ما في السماء والأرض سواء كان عاقلا أو غير عاقل نعم.

القارئ: [إِذا تبين ذَلِك فمعلوم أَن النَّاس يتفاضلون فِي هَذَا الْبَاب تفاضلا عَظِيما وَهُوَ تفاضلهم فِي حَقِيقَة الْإِيمَان وهم ينقسمون فِيهِ إِلَى عَام وخاص وَلِهَذَا كَانَت إلهية الرب لَهُم فِيهَا عُمُوم وخصوص].

الشيخ: هذا يحتاج إلى تفصيل، كونهم ينقسمون الناس يتفاوتون في هذا تفاضل كبير جدا، يعني في أصل الإيمان وليس في العمل فقط، يعني في نفس الإيمان بعضهم إيمانه وتصديقه لا يقبل الشك، لو شكك ما شك، وبعضهم يكون دون هذا، وبعضهم يحتاج إلى تثبيت ولو شكك لشك، ثم العمل، إذا جاء العمل فإنه يثبت الإيمان ويزيده، وكل ما كثر العمل ازداد الإيمان، كما قال الصحابة: إننا إذا عملنا بطاعة الله ازددنا عملا، وإذا غفلنا وسهينا نقص إيماننا، يعني زدنا إيمانا، وإذا غفلنا وسهينا نقص إيماننا، وهكذا كل ما الإنسان عمل بطاعة الله، فإنه يتمكن الإيمان في قلبه، أما قولهم: الربوبية تكون عامة وخاصة، العامة لكل شيء، فالله جل وعلا، معنى الربوبية هي الملك والتصرف، فالله يملك كل شيء ويتصرف فيه، ما أحد يملك مع الله شيء فهذه عامة في كل شيء، ولكن الربوبية الخاصة، هي أن يخص الله ﷻ عبده بربوبية خاصة بحيث أنه يجعله مطيعا متبعا للحق محبا له مريدا له، فهذه ربوبية خاصة، ومنة من الله جل وعلا بها على عباده، وهذه أيضا تتفاوت، بعض الناس أكمل ربوبية من بعض و أكمل عبادة من بعض، وكل ذلك بيد الله جل وعلا نعم.

القارئ: [وَلِهَذَا كَانَ الشّرك فِي هَذِه الْأمة " أخْفى من دَبِيب النَّمْل ". وَفِي " الصَّحِيح " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: « تعس عبد الدِّرْهَم تعس عبد الدِّينَار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وَإِذا شيك فَلَا انتقش إِن أعطي رَضِي وَإِن منع سخط »].

الشيخ: تعس معنى التعاسة، تعس فعلا أيش؟ ماضي خبر، يجوز أن يكون خبر من الرسول ﷺ يخبر أن من كانت هذه صفته فمآله التعاسة، والسقوط والخسارة، ومعنى تعس يعني أنه سقط في مسيره وفي مشيه، وانتكث، يعني أنه سقط وانتكس على رأسه، هذا عبارة أن أمره لا يتم، بل سوف يأتيه عكس ما أراد، لأنه صار عبدا لمخلوق، وعبدا لشهوته أو عبدا لدرهمه ودينـاره، أو عبده لملبوسه وموطوئه، أو غير ذلك، وقوله: «تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»، يعني إذا وقع في شدة ما خرج منها، وشيك يعني دخلت الشوكة في قدمه، وانتقش يعني ما وجد ما ينقش الشوكة ويخرجها، وهو عبارة أنه إذا وقع في أمر شديد أنه لا يتخلص منه لأنه هذا من عقابه، حيث أعرض عن الله وصار يعبد غير الله، أو يكون المقصود أنه دعاء، يصح أن يكون خبر قوله: تعس إلى آخره، ويصح أن يكون دعاء عليه، ومن دعا عليه الرسول ﷺ فهو يسحق أن فعل به ذلك، فدعوته غالبا أنها تكون مستجابة، وأما الدينار والدرهم، الدينار قطعة ذهب سواء كانت مضروبة ولا غير مضروبة، والدرهم قطعة فضة، هذا كان قديما، أصبح الآن تغيرت الأحوال، أما القطيفة، فالقطيفة هي التي تفرش وتوطأ ويجلس عليها، وأما الخميصة فهي الملبوس، الثوب الذي يلبس، فمعنى ذلك أنه يعمل للدنيا، فمن كان عمله للدنيا، فجزائه هكذا ما ذكره، ولهذا قال: إن أعطي رضي، يعني إن حصلته الدنيا رضي واستمر في العمل، وإن لم تحصل له سخط وتركه، ولهذا جاء في تمام الحديث: « طوبى

لرجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»، هذا من المدح ولا من الذم؟ لماذا كان مدح؟ أولا قوله: طوبى لعبد، طوبى كلمة ثناء ومدح، وقيل: إن طوبى شجرة في الجنة، يعني أنها استحقها، قوله: «آخذ بعنان فرسه»، يعني أنه مشغول بهذا الأمر مجتهد، ولهذا قال: « أشعث رأسه مخبرة قدماه، يعني ما عنده وقت وفضاء حتى يغسل رأسه ويسرحه، بل ينتهز الفرصة يخاف أنه يفوته الأمر، هو مجتهد غاية الاجتهاد، قوله: «إن كان في الحراسة كان في الحراسة»، الحراسة هي أشد المواقف، ذلك أن الجيش إذا آواه الليل واستراح يحتاج إلى من يحرس، والحراسة يحتاج إلى تنبه فيها، كان في الحراسة، يعني قام فيها المقام الذي ينبغي أن يكون فيه، لا يؤتى من قبله، والساقة كذلك والساقة هي مؤخرة الجيش، ولهذا أن العدو يكون خلق حتى يأخذ الضعفاء تحتاج إلى حراسة، آخر الجيش، فيقوم في هذا المقام، يعني يقوم القيام اللازم لا يؤتى من قبله، وقوله: «إذا استأذن لم يؤذن له»، يعني أنه لا يعمل لأجل الناس، حتى يروا مقامه، ولهذا لا يكون معروفا عند ا لأمراء والكبراء، إذا استأذن عليهم لا يأذنوا له، ليس معروفا، ليس له عندهم قيمة، لأن عمله لله، لا يعمل لأنظار الناس، وإذا شفع لا يشفع لأجل ذلك.

القارئ: [فَسَماهُ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عبد الدِّرْهَم وَعبد الدِّينَار وَعبد القطيفة وَعبد الخميصة].

الشيخ: يعني من يعمل للشيء يكون عبدا له نعم.

القارئ: [وَذكر مَا فِيهِ دُعَاء وخبرًا وَهُوَ قَوْله: " تعس وانتكس وَإِذا شيك فَلَا انتقش " والنقش إِخْرَاج الشَّوْكَة من الرجل والمنقاش مَا يخرج بِهِ الشَّوْكَة.

وَهَذِه حَال من إِذا أَصَابَهُ شَرّ لم يخرج مِنْهُ وَلم يفلح لكَونه تعس وانتكس فَلَا نَالَ الْمَطْلُوب وَلَا خلص من الْمَكْرُوه وَهَذِه حَال من عبد الْمَال وَقد وصف ذَلِك بِأَنَّهُ إِذا أعطي رَضِي وَإِن منع سخط كَمَا قَالَ تَعَالَى [٥٨ التَّوْبَة] : ﴿وَمِنْهُم من يَلْمِزك فِى الصَّدَقَات فَإِن أعْطوا مِنْهَا رَضوا وَإِن لم يُعْطوا مِنْهَا إِذا هم يسخطون﴾ فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله.

وَهَكَذَا حَال من كَانَ مُتَعَلقا برئاسة أَو بِصُورَة - وَنَحْو ذَلِك من أهواء نَفسه - إِن حصل لَهُ رَضِي وَإِن لم يحصل لَهُ سخط].

الشيخ: ما معنى أنه تعلق بصورة؟ الصورة إما صورة امرأة، أو صبي أو ما أشبه ذلك يعني عشق شيء ومعلوم أن العشق مرض، ويصبح يعني يؤثر هذا الشيء على دينه وعلى كل شيء، يتعلق بشيء يتعلق هواه به، والغالب أنه يتعلق كلمة تعلق، ويقصد بها عمل القلب، لا عمل الجوارح، يعني تعلق قلبه بهذا الشيء، ومن تعلق قلبه بغير الله صار عابدا لذلك الذي تعلق به، نعم.

القارئ: [فَهَذَا عبد مَا يهواه من ذَلِك وَهُوَ رَقِيق لَهُ إِذْ الرّقّ والعبودية فِي الْحَقِيقَة هُوَ رق الْقلب وعبوديته فَمَا اسْترق الْقلب واستعبده فَهُوَ عَبده.

وَلِهَذَا يُقَال:

العَبْد حر مَا قنع ... وَالْحر عبد مَا طمع

وَقَالَ الشَّاعِر:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ... وَلَو أَنِّي قنعت لَكُنْت حرًّا

وَيُقَال: الطمع غل فِي الْعُنُق قيد فِي الرجل فَإِذا زَالَ الغل من الْعُنُق زَالَ الْقَيْد من الرجل].

الشيخ: المشكلة أن الإنسان قد مثلا يتعلق قلبه الشيء، ولا يستطيع أن يتخلص منه، ثم يكون هلاكه على ذلك، وذكر عبد الحق الإسبيلي في كتابه العاقبة، أن رجلا كان واقف في الشارع فجاءت امرأة تبحث عن حمام يقال حمام منجاب، قال: أين الحمام، فأشار إلى بابه وكان مفتوح وهو واقف عند الباب، فدخلت فدخل خلفها، لما رأيت أنها وقعت في مهلكة وأنه خانها أظهرت الموافقة، وقال: ينبغي لنا أن تأتي بشيء، أو هكذا وصف، قال: الآن آتيك بشيء، فذهب وترك الباب فخرجت ولم تخنه خلصت نفسها، لما جاء لم يجدها فهام بها، وصار

يبحث ثم مرض، فصار يردد قوله: رب قائلة يوما وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فمرض وجاءه الموت وصاروا يقولون له: قل لا إله إلا الله، فصار يردد هذا البيت فقبض: هذا نسأل الله العافية، فصار قلبه معبدا بهذه المرأة، ثم ما تحصل على شيء وإنما تحصل على الخسارة.

والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله.